**محاضرات في منهج البحث التأريخي**

**المرحلة الأولى والرابعة - الآداب-قسم التاريخ د. ثامر مكي علي**

**المحاضرة الثانية والعشرون/ الطريقة السوسيولوجية:**

تأخذ اسمها من العلم الذي تقترن به السوسيولوجي (علم الاجتماع)، وتهتم بدراسة المجتمع وتشكيلاته ومتابعة المتغيرات التي تحصل فيه، الذي هو محور اهتمام المؤرخ ايضاً، كما توفر هذه الطريقةمجالاً أوسع للتحري واستقصاء الحقائق مما توفره وسائل المؤرخ التقليدية المحددة، طالما كانت تلك التغيرات الواقعة في المجتمعات والشعوب تقررها الأنماط الاجتماعية السائدة وقيمها السلوكية ونوع الأفعال التي تقوم بها.

ان المؤرخ السوسيولوجي هو ليس سوسيولوجي بالاختصاص، لكنه كمؤرخ يأخذ من السوسيولوجين ما يؤكدونه في دراساتهم على طبيعة المجتمعات الحضرية وعناصر وقيم هذه المجتمعات، واتجاهاتهما، ثم يوظف عليها وسائله التاريخية المتوفرة، لكن الأهم في طبيعة هذا العلم المساعد للتاريخ، ان دراسة المؤرخ للمجتمعات الماضية من الوجهة السوسيولوجية يساعد على تبلور عدة جوانب منهجية في عملية البحث لديه تفضي فيما يتصدى له من اعمال تاريخية على رفع عدة معوقات قائمة لايمكن التحرر منها بطرقه الاعتيادية اصلاً. وخير من يمثل هذه الطريقة ما تقدم به مونتغمري وات وسار جنت والمستشرق الفرنسي كلود كاهن فيما يخص بدايات تاريخ الإسلام، وحياة النبي محمد (ص) وانجازاته، وتاريخ تركيا ماقبل العثمانيين.

اما من حيث النتائج التي تحققها، فقد أدى توظيف المؤرخين للطريقة السوسيولوجية، بفضل المزايا التي تتمتع بها، الى تصحيح كثير من القضايا التي تسببها لهم الطريقة الفيلولوجية، وانصارها، مثل التحول الذي أصاب حقل الدراسات البويهية والسلجوقية بعد ان كانت تدرس على أساس من وضعها الديني والمذهبي.

ومهما يكن من طبيعة هذه الطرائق وخصائصها فأنها لا تتفاوت عند المؤرخ في مسائل الاقتباس المباشر من النصوص داخل المتن، وما من شك ان هذه النصوص اذا كانت هامة جدا ذات صلة بمحور او محاور الموضوع فأنها تعامل داخل المتن بالاقتباس المباشر لما يراد تحليله وتوظيفه من تلك النصوص، اما اذا كان الغرض من ذكره يعود الى استعمالها بهدف التنسيق لراي ما مع مؤلفي المصادر او التنبيه لأغراض المقارنة، فيفضل حينئذ التعويل على الصياغة الشخصية للمؤرخ داخل المتن مع تثبيت نصوصها كاملة في الحاشية، اذ كان الاقتباس منها موجزا وامراً ضرورياً.

لكن هذه الخطوات والوسائل من الأسئلة الموجهة الى طريقة المؤرخ في منهجية البحث لا تكون متكاملة الجوانب ما لم يشرع الباحث منذ البداية بتحديد نوع المادة التي تدخل في تطوير محتوى وحيثيات المسودة. ويقصد بذلك ان يثبت أسماء حوادث معينة من التاريخ السياسي، او فترات من حكم الخلفاء، وما شابه مما يقف كأمثلة لعناصر رؤوس المواضيع بغرض تحديد مسار البحث وما يراد تحليله من مادة ومعلومات تاريخية.

وهذه المواد بأمثلتها وعناصرها في غاية الأهمية بالنسبة لعملية تطوير مسودة المتن هذه لأنها هي التي تمكن القارئ في المستقبل من متابعة محتويات مثل هذا البحث بحرية تامة دون ادنى انزعاج او عراقيل فكرية من جانب ما يرد فيه من أفكار وادعاءات، ومن جانب التركيب والتصميم الذي بنى عليه محتوى البحث مجملاً، ولان بإمكانه حينذاك التنقل من موضوع لأخر من مفرداته تباعاً حسب ما تحدده هذه الأمثلة في بداية الفصل الواحد او ما يقابله دون التعرض لأي هزة فكرية من جرائها.